بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كيفية الحُصُول على الحياة الطيبة؟!

أبو المُنتصر محمد شاهين التاعب

أحد المُلحدين، غارق في الإلحاد - ردَّه اللهُ لدينه ردًّا جميلاً - اللّهم آمين، نشر أغنية لمُلحد آخر، مفاد الأغنية: أنا لا أستطيع أن أؤمن بك يا رب، لأنَّ هُناك أناس كثر جوعى كوكب الأرض، يموتون جوعاً، ولو كان هُناك إلهاً رحيماً موجوداً فعلاً لما ترك هؤلاء الناس ليموتوا من الجوع، ولرزقهم!

الفكرة التي لا يستطيع أن يقبلها المُلحد هي أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلقنا على الأرض لنعيش في تبات ونبات، ونخلف صبيان وبنات، هكذا كغاية عُظمى وراء وجودنا على الأرض! ولكن هُناك نقطة في غاية الأهمية نستطيع أن نفهمها من خلال الآية الأخيرة من قصة آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في القرآن الكريم.

قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ٣٨]

وقال أيضاً في كتابه الكريم: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه : ١٢٣]

هذا يعني - باختصار شديد - أنَّ اتِّباع الوحي الإلهي الذي يأتينا عن طريق الأنبياء والرُّسُل هو الذي سيؤدِّي إلى التالي: «**لا خوف**»، «**لا حُزْن**»، «**لا ضلال**»، «**لا شقاء**».

وهذا يعني أنَّ الذي يُعرض عن الوحي الإلهي، والتَّعاليم الإلهية التي تصلنا عن طريق الأنبياء والرُّسُل، سواء من خلال الكُتُب السَّماوية المُقدَّسة التي تكون معهم، أو من خِلال تعاليمهم الشَّفهية التي يتمّ تدوينها فيما بعد، الذي يعرض عن هذا كلّه يعيش في خوف وحُزْن وضلال وشقاء.

ولاحظ كلمة «**شقاء**» تحديداً، شقاء بكل الأنواع!

الله عزَّ وجلَّ يقول لنا في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[طه : ١٢٤]

ويقول أيضاً في كتابه الكريم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم : ٤١]

ويقول أيضاً في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠]

آيات كثيرة جداً ومشهورة، لكنَّنا نُحبّ أن نتجاهلها، ونُعرض عنها، ونحاول إقناع أنفسنا بأنَّ سبب كلّ مصيبة وشقاء نعيش فيه ليس انحرافنا عن التَّعاليم الإلهية! لكن أيّ سبب آخر، أيًّا كان!

الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف : ٩٦]

ويقول أيضاً في كتابه الكريم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور : ٥٥]

كلّ هذه الآيات البيِّنات دالَّة دلالة قطعية على أنَّ الحياة الطيِّبة لن ينالها إلَّا من سَلَكَ في وصايا الله وشرائعه، واتَّبع أوامره، وانتهى عن نواهيه.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[النحل : ٩٧]

أيضاً تأمَّل هذه القصَّة الرائعة المذكورة في كتاب الله عزَّ وجلَّ:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[سبأ : ١٥-١٧]

لمَّا أعرضوا عن أمر الله وشكره، وكذَّبوا الرُّسُل، أرسل اللهُ عليهم السَّيل الجارف الشَّديد (التَّفسير المُيسَّر)، وهذا ظاهر في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

فيجب علينا أن نُصدِّق تصديقاً جازماً يقينيًّا بأنَّ اتِّباع الوحي هو الطَّريق الوحيد للحُصُول على الحياة الطَّيِّبة، والفَرَح، والأمْن، والهِداية، والرِّزق، والتَّمكِين في الأرض، اللّهم هل بلَّغت؟! اللّهم فاشهد!

نقطة ثانية ذكرها أحد المُلحدين المُرتدِّين عن دين الله عزَّ وجلَّ.

جاء بصورة تحتوي على بعض الفتيات المُسلمات غير المُلتزمات بالحجاب الشَّرعي، أي أنَّهم يفهمون من الحجاب مُجرَّد تغطية للشَّعر، فمن المُمكن أن يلبسوا ملابس ضيِّقة، تُبيِّن مفاتنهم، وبمُجرَّد أنَّهم غطوا شعرهم أصبحوا مُحجَّبات! ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليّ العظيم!

المهم، الصُّورة فيها فتيات مُسلمات يلبسن حجاب «**مودرن**» وقد تعرَّضوا للتحرُّش!

ثم قال هذا المُلحد مُعلِّقاً على الصُّورة وهو يطعن في الله عزَّ وجلَّ: «**الحلّ الإلهي باطل ولا ينفع!**».

فتيات مُسلمات مُحجَّبات - حسب رأيه - ومع ذلك تعرَّضوا للتَّحرُّش، وبدأ يقول إنَّ الله أخطأ - بزعمه - لما قال لنا إنَّ الحلّ الإلهي لمنع التَّحرُّش هو الحِجاب!

أولاً: الفتيات المُسلمات المُشار إليهنّ في الصُّورة لم يلتزمن أصلاً بالحجاب الشَّرعي كما أمر الله عزَّ وجلَّ حتى يقول هذا المُلحد: «يا رب، أطاعوا أوامرك ومع ذلك تمّ التَّحرُّش بهم!»، والعجيب أنَّ هؤلاء المُلحدين يزعمون أنَّهم عُلماء دين، ولما عرفوا الدِّين على حقيقته ارتدُّوا عنه، الله المستعان، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

ثانياً: هل أخبرنا اللهُ عزَّ وجلَّ أنَّ الحلّ الإلهي لمنع التَّحرُّش هو حِجاب المرأة فقط؟!

من هُنا سأبدأ الكلام عن وُجُوب تطبيق كلّ الأحكام والشَّرائع الإلهية، وأنَّ الالتزام ببعض الأحكام والشَّرائع مع الإعراض عن البعض الآخر يُسبب الخزي في الدُّنيا!

قال الله تعالى في كتابه الكريم حكاية عن بني إسرائيل:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة : ٨٥]

ثم نرجع إلى نُقطة: «كيفية منع التَّحرُّش»، هل حِجاب المرأة هو الحلّ الوحيد؟!

بالطَّبع لا! هُناك حُلُول أخرى كثيرة جداً من القُرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية.

هُناك أشياء أخرى كثيرة، يجب أن يلتزم بها الرجل والمرأة على حدٍّ سواء، مثل: غضّ البصر، وعَدَم الوُقُوع في خلوة مع امرأة، وعَدَم التَّسليم باليدّ بين الرَّجل والمرأة، وبشكلٍ عام: عَدَم مسّ امرأة لا تحلّ لك، وهذه كلّها أشياء المسئول عن حُدُوثها الطَّرفين!

والآن لنفترض جدلاً أنَّ المُجتمع الإسلامي مُلتزم فعلاً بكلّ ما يخُصّ منع التَّحرُّش، لكنَّ المُجتمع مُقصِّر بشدَّة من نواحي أخرى، مثل: الصَّلاة، والزَّكاة، والتَّحكيم بما أنزل الله، والمُعاملات التُّجارية، إلى غير ذلك من الأحكام الشَّرعية التي نتجاهلها، ومع ذلك نُريد أن نحيا حياة طيِّبة! هل لنا ذلك؟! بالطَّبع لا!

طالما هُناك تقصير في اتِّباع الوحي الإلهي، فسيكون هُناك خَلَل في حياتنا الدُّنيا، فضلاً عن العذاب الأليم الذي ينتظرنا يوم الحساب، نسأل الله السَّلامة!

في النِّهاية أقول للمُسلمين قبل المُلحدين:

لا تنتظروا أن نحيا حياة طيِّبة ونحن بعيدين كلّ البُعد عن اتِّباع الوحي الإلهي!

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُصلح أحوالنا، وأن يغفر لنا ذُنُوبنا، وأن يُطهِّر لنا قُلُوبنا، وأن يهدينا لاتِّباع وحيه المحفوظ في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، اللّهم آمين.

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصَّالِحات